التعريف و لم يعد في حاجة إلا إلى شيء ذاتي[1] وهو مهاراته الفكرية وقدرته على الاختزال والتركيب والتنسيق فإذا حصل له هذا الأمر الأخير – وهو أمر ليس بعزيز- صار الباحث قادرا على تصور مفهوم مصطلحه في صورته المثلى وحجمه الحقيقي فحق له تبعا لذلك أن يبين أمر ذلك المصطلح لغيره من الباحثين؛ وذلك بعرضه عرضا مصطلحيا يستجيب لقواعد منهج الدراسة المصطلحية حيث يعرض المصطلح على شاكلة شخص له ذات وخصائص وعلاقات وقضايا.

5- العرض المصطلحي: يقصد بهذا الركن "الطريقة التي ينبغي أن تعرض وتحرر عليها خلاصة الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها"[2] واهم ما يميز هذا الركن عن غيره هو كونه الوحيد الذي يرى بعينه لا بأثره[3] ومن العناصر التي يجب عرضها تحت هذا الركن ما يلي:

***التعريف:** هذا العنصر هو أهم عناصر هذا الركن إذ "هو اللب والنواة"[4] وإنما أعطيت له الصدارة ونزل هذه المنزلة لأن في صلاحه صلاح العرض المصطلحي كله وفي فساده فساد العرض كله. ومما ينبغي استحضاره في هذا السياق التعريف اللغوي والاصطلاحي للفظ المدروس وما يرتبط به من صفات وعلاقات وضمائم ومشتقات وقضايا.

---

[1]- استخلاص التعريف لا يعتمد فقط على معطيات النصوص وإنما يعتمد كذلك على ذكاء الباحث و"على مهاراته الفكرية وقدرته على الاختزال والتركيب والتنسيق، إذ ليس الغرض هو استفراغ المعلومات المتوفرة. ... وإنما المقصود كيفية تنظيم هذه المعطيات وتصنيف تلك المعاني بشكل يخدم الغرض المتوخى في المنهج المختار لعرض المفهوم وهو إيصاله إلى المخاطب بشكل يجعله ملما بكل خصائصه ومميزاته، ويحصل له العلم به، فحينئذ تتحقق مقولة "المصطلح مفتاح العلم" ورقة العمل التي قدمها الأستاذ مصطفى فوضيل لدورة " الدراسة المفهومية ص15.

[2]- نظرات في المصطلح والمنهج، ص26.

[3]- نظرات في المصطلح والمنهج، ص 9.

[4]- نفسه، ص10.

تلكم هي أهم العناصر الجديرة بالذكر في العرض المصطلحي للمصطلح المدروس إذ بها يتم بيان المفهوم على حقيقته للناس بعد أن حصل لنا قدر من التفهم والتبين وهي ليست ملزمة الحضور بنفس الكمية والكيفية في كل مصطلح على حدة وإنما يختلف حجم ورودها وشكله من مصطلح إلى آخر[1] وذلك مرده إلى عدة اعتبارات: منها ما يتعلق بطبيعة المصطلح وحجمه إذ "لكل مصطلح خصوصيته النابعة من دلالته وحجم وروده في النصوص وقوته الاصطلاحية"[2]. ومنها ما يتعلق بطبيعة البحث والمتن المدروس "فليست دراسة المصطلح الواحد في المتن الواحد كدراسة المصطلح المتعدد في المتن المتعدد، أو المصطلح الواحد في المتون المتعددة، أو المصطلحات المتعددة في المتن الواحد. وليست المتون النظرية كالمتون التطبيقية ولا المتون البشرية ككلام الله تعالى ورسوله. . "[3].

– تتبع العلاقات بين الآيات والسور (نظرية التناسب في القرآن الكريم)

ويعد هذا النوع من أكثر أنواع التناول الموضوعي تطورا وإضافة، فهو يضيف إلى عنايته بالوحدة الموضوعية لكل سورة، البحث عن العلاقة بما يجاورها من سور، فينظر في فواتح السور وخواتمها ويربط بينها مجتمعة تارة ومتفرقة تارة أخرى، بحيث تبدو سور الكتاب وقد التفت معانيها ومقاصدها كدائرة اتصل كل مبتدأ فيها بمختتمها. وقد اشتهر هذا النوع من التفسير الموضوعي عند العلماء تحت مفهوم التناسب وعلم المناسبات بين الآيات والسور[4].

---

[1]– يقول الدكتور الشاهد البوشيخي في هذا الصدد: "وهذه الخانات ليست بمطردة الترتيب، ولا الوجود، في كل مصطلح مصطلح، كما أن الاقتصار عليها في عرض بعض المصطلحات المتشعبة العلاقات كالشعر مثلا، يخل بحقيقة الدراسة المصطلحية التي يراد منها أن تدور مع المصطلح حيث دار وكيف دار"ن: مصطلحات النقد العربي ص13.

[2]– مفهوم التأويل، ص53.

[3]– المصدر نفسه، ص53.

[4]– ينظر التفسير الموضوعي إشكالية المفهوم والمنهج، ص 8.

والمناسبة في اللغة المقاربة. يقال فلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله. والمراد بالمناسبة هنا: وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة أو بين السورة والسورة. ولمعرفة المناسبة فائدتها في إدراك اتساق المعاني وإعجاز القرآن البلاغي وإحكام بيانه وانتظام كلامه وروعة أسلوبه قال تعالى: ﴿ **أَلَٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴾[1] قال الإمام الزركشي: " وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء " [2]

أنواع التفسير الموضوعي باعتبار العموم والخصوص.

ينقسم التفسير الموضوعي باعتبار العموم والخصوص إلى صنفين: صنف عام وصنف خاص.

أما الصنف العام فهو الذي بين أطراف موضوعه وحدة في الغاية فقط، وليس في أصل المعنى. وهذا النوع لابد أن يكون لموضوعه أصل في القرآن الكريم لا خلاف فيه. وقد تدخل تحته قضايا كثيرة متعددة لا يربط بينها إلا وحدة الغاية وهي وحدة محققة وإن كانت عامة بعيدة. **مثال ذلك تفاسير آيات الأحكام** جميعا. فموضوعها الذي هو الأحكام القرآنية موجود في القرآن بيقين. لكن تحته قضايا متعددة: كالصلاة والزكاة والحدود والربا والعدّة والجهاد. وهذا النوع هو ما كان سائدا في المؤلفات القديمة كالجامع لأحكام القرآن للقرطبي وأحكام القرآن للجصاص [(3)].

وأما الصنف الخاص فهو التفسير الذي يقوم على وحدة المعنى والغاية بين أطرافه وأفراده، فتكون الرابطة بينها خاصة وقريبة. مثال ذلك: "**اليهود في ضوء**

---

[1]– هود: 1.

[2]– البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج 1، ص26.

[3]– المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص 24.

القرآن الكريم" فهذا موضوع محدد يدخل تحته آيات كثيرة كلها في ذات الموضوع ويجوز أن يقيد الموضوع بقيد فيزداد تخصيصا مثل: "**عقيدة اليهود الضالة في ضوء القرآن الكريم**" كلما زادت القيود قلت الأفراد وازداد التخصيص [1]. وقريب من هذا ما يقوم به الدكتور الشاهد البوشيخي في بعض مشاريعه العلمية من مثل: الهدى المنهاجي في مجموعة من سور القرآن الكريم.

أنواع التفسير الموضوعي باعتبار المنهج

ينقسم التفسير الموضوعي باعتبار المنهج إلى ثلاثة أنواع: الوجيز والوسيط والبسيط.

فالوجيز يختار فيه المفسر عدة آيات ليفسر موضوعا في مقالة أو محاضرة أو خطبة أو حديث إذاعي ونحو ذلك [2].

والوسيط يختار فيه المفسر موضوعا يعرضه من خلال سورة واحدة مثل "العقيدة في سورة الشورى " أو من خلال مجموعة سور أو من خلال القرآن الكريم كله وحينئذ يلزم المفسر اختيار جوامع الآيات الكريمة التي تمثل أطراف الموضوع وعناصره ثم يعرضها عرضا وسطا بعد النظر والموازنة. ومن أمثلة هذا النوع: "الوحدانية والتوحيد والعلم في القرآن الكريم. .. " [3].

أما البسيط فهو الذي يقوم على الاستقراء والاستيعاب والإحصاء الشامل لموضوع ما، فيجمع المفسر آياته كلها على وجه تفصيلي [4].

---

[1]- المصدر السابق، ص 25.

[2]- المصدر نفسه ص.

[3]- نفسه ص.

[4]- نفسه ص.

الوحدة الموضوعية للسورة

تعريف الوحدة الموضوعية

الوحدة الموضوعية اسم مركب وصفي. وسيرا على المنهجية المعتمدة في تعريف الضمائم نبدأ بتعريف ركني الاسم المركب ثم نعرفه بعد التركيب.

– تعريف الوحدة لغة واصطلاحا

الوحدة في اللغة: أصلها من الجذر الثلاثي (وح د) ولها عدة معان منها:

الانفراد: قال ابن فارس: (وحد) الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد. من ذلك الوحدة.

الواحد: وهو أول عدد الحساب وقيل الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل ولا يجمع هذه الصفات إلا الله تعالى. والخلاصة أن لفظ الوحدة تطلق على عدة معان منها: الانفراد والذي لا يقبل التجزؤ والانقسام.

أما **الوحدة في اصطلاح علماء التفسير** فهي المحور أو الأساس الوحيد الذي يجمع الموضوعات المتعددة في السورة. وإن شئت فهي اسم السورة ومفتاحها مثل قصة البقرة في سورة البقرة فهي جامعة لكل ما جاء في السورة من أوامر ونواهي وأحكام وحكم.

– تعريف الوحدة الموضوعية

الوحدة الموضوعية في الاصطلاح تطلق على عدة معان:

الأول: ترابط سور القرآن الكريم وآياته حتى يكون كالكلمة الواحدة [1]. وهذا موضوع علم المناسبات وهو ما يصح أن يطلق عليه: (الوحدة القرآنية).

---

[1]– البرهان للزركشي، ج 1 ص32.

الثاني: طلب الآيات في الموضوع الواحد من القرآن العظيم وهذا مجال التفسير الموضوعي.

الثالث: طلب المحور الأساس الذي تدور عليه مواضيع السورة وتهدف إليه. فهو وحدة الغرض في السورة ذات الموضوعات المتعددة وهو المسمى بالوحدة الموضوعية في السورة.

الرابع: طلب المعاني التي جاءت عليها اللفظة من ألفاظ الآية في غيرها من الآيات وهذا موضوع علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم.

الخامس: طلب تفسير الآية فيما ورد في معناها من الآيات الأخرى وهي تفسير القرآن بالقرآن [1].

يتبين إذن أن معنى الوحدة الموضوعية هي المحاور التي تجمع مواضيع متشعبة في السورة الواحدة من القرآن الكريم أو ما يتعلق بأغراض هذه السورة القرآنية من مواضيع متفرقة.

الوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم.

من المعلوم أن سور القرآن العظيم منها ما له موضوع واحد كسورة الإخلاص وسورة المسد وسورة التكاثر ونحو ذلك من السور المكية. فهذه السور غرضها المحوري واضح وظاهر. ومنها ما له موضوعات وتفريعات. وهذه السور تطلق الوحدة الموضوعية فيها بمعنى المحور الذي يجمع شعب هذه الموضوعات وتهدف إليه السورة بموضوعاتها [2].

قال الشاطبي رحمه الله: " إن الكلام المنظور فيه تارة يكون واحدا بكل اعتبار بمعنى أنه أنزل في قضية واحدة طالت أو قصرت وعليه أكثر سور المفصل. وتارة

---

[1]– التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة، ص55.

[2]– المصدر السابق، ص 57.

يكون متعددا في الاعتبار بمعنى أنه أنزل في قضايا متعددة كسورة البقرة وآل عمران والنساء واقرأ باسم ربك وأشباهها، ولا علينا أنزلت السورة بكاملها دفعة واحدة أم نزلت شيئا بعد شيء "[1].

ضوابط تحصيل الوحدة الموضوعية للسورة

النظر في طلب الوحدة الموضوعية للسورة من باب التفسير بالرأي، إذ مرجعه اجتهاد المفسر وليس النقل. ولذلك يشترط فيه ما يتناسب معه من شروط التفسير بالرأي. ويمكن ضبط ذلك بالضوابط الآتية:

أولا: ألا يُجعل للسورة غرض يتفق مع بعضها ويتنافر مع الآخر فلا بد أن يتناسب الغرض والمحور الأساس الذي يذكره مع موضوعات السورة ونظمها ولا يلغي بعضها.

ثانيا: أن يُذكر للسورة غرض يخرج السورة عن ترتيبها في نظم سور القرآن الكريم على الراجح في أن هذا الترتيب توقيفي.

ثالثا: أن يبرَز المحور الأساس الذي يجمع موضوعات السورة بطريقة تُجمع وتُظهر جميع موضوعات السورة فلا يكون فيها إهمال للموضوعات التي ذكرت في السورة أو ترك لمعانيها.

رابعا: أن يتفق هذا الغرض مع المقاصد الكلية للقرآن الكريم ولا يخرج عنها أو يخالفها.

خامسا: أن ينسجم هذا الغرض مع اسم السورة التوقيفي.

سادسا: ألا يُجْزِم بأن هذا الغرض المحوري التي تدور في فلكه أغراض السورة. وإنما هو اجتهاد بحسب طاقة المجتهد.

---

[1]– الموافقات في أصول الشريعة للإمام الشاطبي، ج 3، ص 414.

سابعا: أن يكون المتناول لبيان المحور الأساس ممن لديه الصفة العلمية التي تؤهله لبحث هذا الموضوع.

ثامنا: ألا يكون في هذا الغرض ما يقوي كلام أهل البدع.

تاسعا: ضبط الوحدة الموضوعية بمعاني السورة الأصلية بحسب التفسير بالمأثور. حتى لا تتأثر وحدة السورة الموضوعية بما يستجد من أمور توسع معنى الآية. وحصر ذلك بالتفسير بالمأثور لأن معاني الآيات فيه هي الأصل الذي لا ينبغي أن يخرج عنها أو تخالف مخالفة تضاد عند التفسير بالرأي المحمود.

عاشرا: أنه لا مانع في الوحدة الموضوعية أن تكون عامة وليست مخصوصة بألفاظها ولا خاصة بالسورة فقد تجمع مجموعة من السور الوحدة الموضوعية [1].

فهذه ضوابط يتعين مراعاتها عند طلب الوحدة الموضوعية للسورة.

بعض المؤلفات في قضايا التفسير الموضوعي

التفسير الموضوعي علم قديم النشأة جديد الوجهة لذلك اهتم به العلماء المعاصرون اهتماما بالغا، تنظيرا وتطبيقا فاغتنت بذلك مكتبة التفسير الموضوعي بالمؤلفات المتنوعة الموضوعات نذكر منها ما يلي:

- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق لصلاح الخالدي.
- التفسير الموضوعي لأحمد الكومي.
- التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه لزياد خليل الدغامين.
- منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية لسامر عبد الرحمان رشوان.
- المدخل إلى التفسير الموضوعي لعبد الستار فتح الله سعيد.

---

[1]- التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية، ص 68.

- الصبر في القرآن الكريم ليوسف القرضاوي.
- دستور الأخلاق في القرآن لمحمد عبد الله دراز.
- المرأة في القرآن الكريم لمحمود العقاد.
- المنافقون في القرآن الكريم لعبد العزيز بن عبد الله الحميدي.
- التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب.

نماذج تطبيقية

مقـــدمـــة:

إن التفاعل الإيجابي اليوم مع كتاب الله تعالى قد يؤدي إلى النظر من زوايا لم يكن النظر منها إلى كتاب الله تعالى ممكنا. فيؤدي ذلك إلى استخلاص هدى لم يكن ممكنا لمن كان في القرون الماضية[1]. لأن الإمكانات العلمية في تطور مستمر، والفتوحات الربانية على الصادقين من العلماء الربانيين في تجدد متواصل على امتداد الزمان والمكان إلى يوم العرض والحساب. تلك سنة الله في خلقه وعدله بين عباده. فلئن كان للسابق شرف السبق والتأسيس فإن للاحق فضل التجديد والتطوير، وفي كل خير. ولبيان وتبين هذه الحقيقة نضع بين يدي القارئ الكريم تفسير آيات ثلاث (الآية 112 من سورة آل عمران والآية 140 من سورة النساء والآية 36 من سورة الحج). من خلال نخبة من التفاسير تمثل مختلف القرون، ومختلف البلدان، ومختلف المذاهب والفرق، ومختلف الاهتمامات والتخصصات، ومختلف المناهج والطرق. وذلك بهدف تمكين الباحثين من مطالعة نصوص المفسرين في الآية الواحدة، مرتبة ترتيبا تاريخيا تبعا لوفيات أصحابها، فتتجلى أمامهم أشكال من التطور والنقل والإبداع وغيرها.

وإنما اخترنا هذه الآيات للتمثيل دون غيرها نظرا للقلق النفسي الذي يعتري كثيرا من المسلمين ويثير في نفوسهم اضطرابات تتولد وتتعاظم كلما ازداد سوط الإرهاب عليهم بشتى صوره وأشكاله شرقا وغربا من قبل الشرق والغرب المتعجرف بطغيان قوته المتعددة، وتعدد مجالات وآليات إفساده المختلفة، فيحار المسلمون بين ما يتضمنه القرآن من وعود إلهية قاطعة بعزة الإسلام والمسلمين، وذلة اليهود والمشركين، وما يتمرغون فيه من ويلات متسلطة عليهم من قبل هؤلاء جميعا[2]. ثم

---

[1]– نظرات في الهدى المنهاجي في القرآن الكريم. الدكتور الشاهد البوشيخي.. ص 34.

[2]– ن. م 91–92.

يتساءلون عن أسباب ومصادر قوة وسطوة وطغيان هؤلاء القوم الذين كتب الله عليهم الذلة والمسكنة بمنطوق القرآن الكريم.

***بيان الآية الأولى (سورة آل عمران: 112)**

قال عز وجل: ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾**﴾.

اتفق المفسرون على أن هذه الآية نزلت في اليهود، كما اتفقوا على أن المراد منها أن الله سبحانه وتعالى قد سلبهم العزة والكرامة، وكتب عليهم الذل والهوان من يوم الإسلام إلى يوم يبعثون، لأنهم قد بلغوا من الفساد والطغيان حدا لم يبلغه أحد من قبلهم، لكنهم – أي المفسرون – اختلفوا فيما بينهم على نوع الذلة والمسكنة التي لازمت اليهود، والتصقت بهم في كل جيل، وتباينت آراؤهم في المعنى المقصود بالحبل الذي يكون من الله والذي يكون من الناس، والذي به ترفع عنهم الذلة والمسكنة. كما تعددت عباراتهم بين موسع ومضيق لمفهوم الناس.

ولعل جزءا غير يسير من هذا الاختلاف بين المفسرين قد يكون ناشئا عن اختلاف أوضاع اليهود في مختلف الأعصار والأمصار، فجاء قول المفسر انعكاسا لما كان عليه اليهود في عصره. وليس هذا بغريب ما دام الإنسان يتأثر حتما بما يسمع ويرى، فهو ابن بيئته.

والمتتبع لبيان المفسرين لهذه الآية الكريمة عبر التاريخ يلاحظ أن المتقدمين منهم يفسرون الحبل **بالسبب**، والعهد **والأمان، والجزية، ويقيدون لفظ الناس بالمؤمنين أو المسلمين**، مع ظهور بعض الاجتهادات عند بعضهم كما هو الشأن عند فخر الدين الرازي (606 هـــ) الذي عقب على أقوال من سبقه أو عاصره من المفسرين قائلا:

(فإن قيل: إنه عطف على حبل الله حبلا من الناس وذلك يقتضي المغايرة فكيف هذه المغايرة ؟ قلنا: قال بعضهم: **حبل الله هو الإسلام**، وحبل الناس **هو العهد والذمة، وهذا بعيد** لأنه لو كان المراد ذلك لقال: أو حبل من الناس، وقال آخرون: المراد بكلا الحبلين العهد والذمة والأمان، وإنما ذكر تعالى الحبلين لأن الأمان المأخوذ من المؤمنين هو الأمان المأخوذ بإذن الله **وهذا عندي أيضا ضعيف، والذي عندي فيه** أن الأمان الحاصل للذمي قسمان أحدهما: الذي نص الله عليه وهو **أخذ الجزية** والثاني: الذي فوض إلى رأي الإمام فيزيد فيه تارة وينقص بحسب الاجتهاد فالأول: هو المسمى بحبل الله والثاني: هو المسمى بحبل المؤمنين والله أعلم. **والناس: محمد والمؤمنون** يؤدون إليهم الخراج فيؤمنونهم. .. **واعلم أنه لا يمكن أن يقال المراد من الذلة هي الجزية فقط** أو هذه المهانة فقط لأن قول { إلا بحبل من الله } يقتضي زوال تلك الذلة عند حصول هذا الحبل والجزية والصغار والدناءة لا يزول شيء منها عند حصول هذا الحبل، فامتنع حمل الذلة على الجزية فقط، وبعض من نصر هذا القول، أجاب عن هذا السؤال بأن قال: إن هذا الاستثناء منقطع، وهو قول محمد بن جرير الطبري، فقال: اليهود قد ضربت عليهم الذلة، سواء كانوا على عهد من الله أو لم يكونوا فلا يخرجون بهذا الاستثناء من الذلة إلى العزة، فقوله { إلا بحبل من الله } تقديره لكن قد يعتصمون بحبل من الله وحبل من الناس، **واعلم أن هذا ضعيف** لأن حمل لفظ { إلا } على (لكن) خلاف الظاهر، وأيضا إذا حملنا الكلام على أن المراد: لكن قد يعتصمون بحبل من الله وحبل من الناس لم يتم هذا القدر فلا بد من إضمار الشيء الذي يعتصمون بهذه الأشياء لأجل الحذر عنه والإضمار خلاف الأصل، فلا يصار إلى هذه الأشياء إلا عند الضرورة فإذا كان لا ضرورة ههنا إلى ذلك كان المصير إليه غير جائز، بل ههنا وجه آخر وهو أن يحمل الذلة على كل هذه الأشياء أعني: القتل، والأسر، وسبي الذراري، وأخذ المال، وإلحاق الصغار، والمهانة، ويكون فائدة الاستثناء هو أنه لا يبقى مجموع هذه

الأحكام، وذلك لا ينافي بقاء بعض هذه الأحكام، وهو أخذ القليل من أموالهم الذي هو مسمى بالجزية، وبقاء المهانة والحقارة والصغار فيهم، **فهذا هو القول في هذا الموضع**)[1].

أما الإمام القرافي في أواخر القرن السابع الهجري (684 هـــ) فتساءل عن الحبلين هل هما منفصلان أم أنهما يرجعان لشيء واحد فقال: (فإن قلتم: هل الحبلان المذكوران واحد أو متعددان ؟ وما معنى الحبل في هذه الآية ؟ قلت: قال الزجاج: "الحبل هاهنا: **العهد** " أي: هم مقتولون مذلون مهانون إلا أن يحصل هذا السبب. قلت: ويحتمل أن يكون هذان الحبلان واحدا، فإن العهد واحد في نفسه، وله نسبة إلى الله تعالى **بالمشروعية وإلى الخلق بالمباشرة**، فلذلك حسن التعدد في الإضافة في اللفظ.

ويحتمل أن يكون حبلين، ويكون حبل الله تعالى: **إذنه للناس في المعاهدة**، وحبل الناس: **المباشرة والمعاهدة**، فإذا أذن الله تعالى وعقد المؤمنون لهم العهد عصمت دماؤهم وأموالهم وذهبت ذلة وخوف الموت. **وسمي العهد حبلا مجازا، من باب مجاز التشبيه، لأن الحبل شأنه أن يصل بين الشيئين، وهذا العهد وصل بين المؤمنين واليهود حتى صاروا كالملة الواحدة من جهة عدم القتل والقتال، وهذا هو شأن الملة الواحدة، ووقع الأمن والأمان.**)[2]

وتابع أبو حيان الغرناطي (747 هـــ) الإمام القرافي في مناقشته لآراء المفسرين في مفهوم الحبل فقال: (والظاهر في تكرار الحبل أنه أريد حبلان، وفسر حبل الله بالإسلام، وحبل الناس بالعهد والذمة، وقيل: حبل الله هو الذي نص الله

---

[1]– مفاتح الغيب. لفخر الدين الرازي.

[2]– جهود الإمام القرافي في التفسير.

عليه من أخذ الجزية. والثاني: هو الذي فوض إلى رأي الإمام فيزيد فيه وينقص بحسب الاجتهاد.

وقيل: المراد حبل واحد، إذ حبل المؤمنين هو حبل الله وهو العهد. وقيل: **ذمة الله الجزية المنصوص عليها، وذمة الناس ما يزيد الإمام عليها أو ينقص بالاجتهاد)**[1].

وقد أشار المفسر الشيعي الطباطبائي (ت 1402 هـ) إلى معنى لطيف في تكرار لفظ الحبل فقال: (وقد كرر لفظ الحبل بإضافته إلى الله وإلى الناس لاختلاف المعنى بالإضافة فإنه من الله القضاء والحكم تكوينا أو تشريعا، ومن الناس البناء والعمل **والمراد بضرب الذلة عليهم القضاء التشريعي بذلتهم، والدليل على ذلك قوله: { أينما ثقفوا } فإن ظاهر معناه أينما وجدهم المؤمنون أي تسلطوا عليهم، وهو إنما يناسب الذلة التشريعية التي من آثارها الجزية** فيؤول معنى الآية إلى أنهم أذلاء بحسب حكم الشرع الإسلامي إلا أن يدخلوا تحت الذمة أو أمان من الناس بنحو من الأنحاء. وظاهر كلام بعض المفسرين أن قوله: { ضربت عليهم الذلة }، **ليس في مقام تشريع الحكم بل إخبار عن ما جرى عليه أمرهم بقضاء من الله وقدر فإن الإسلام أدرك اليهود وهم يؤدون الجزية إلى المجوس، وبعض شعبهم كانوا تحت سلطة النصارى)**[2].

وهذا التأويل تم تعقبه من لدن الشيرازي – وهو مفسر شيعي أيضا – حيث قال: (إن الذلة اللازمة لليهود والصغار الملتصق بهم أينما حلوا ونزلوا، ليس حكماً تشريعياً كما قال بعض المفسّرين، بل هو قضاء تكويني، وهو حكم التاريخ الصارم الذي يقضي بأن يلازم الذلة، ويصاب بالصغار كلّ قوم يتمادون في الطغيان،

---

[1]– البحر المحيط لأبي حيان.

[2]– الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي.

ويغرقون في الآثام، ويتجاوزون على حقوق الآخرين وحدودهم، ويسعون في إبادة القادة المصلحين والهداة المنقذين، إلاَّ أن يعيد هؤلاء القوم النظر في سلوكهم، ويغيروا منهجهم وطريقتهم، ويرجعوا ويعودوا إلى الله، أو يربطوا مصيرهم بالآخرين ليعيشوا بعض الأيام في ظل هذا أو ذاك كما هي حال الصهيونية اليوم)[1].

وحتى يتمكن القارئ الكريم من تبين مدى تأثير اختلاف الزمان والمكان والأحوال في بيان المفسرين نستأذنه في عرض بعض أقوالهم مرتبة تاريخيا على النحو الآتي:

– ابن جرير الطبري (ت 310 هـــ)

بقول جلّ ثناؤه { ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلّةُ } يعني ألزموا الذلة، والذلة: الفعلة من الذلّ .... { أيْنَما ثُقِفُوا } يعني: حيثما لقوا. يقول جلّ ثناؤه: ألزم اليهود المكذّبون بمحمد ﷺ الذلة أينما كانوا من الأرض، وبأيّ مكان كانوا من بقاعها من بلاد المسلمين والمشركين، إلا بحبل من الله، وحبل من الناس. ... .

وأما الحبل الذي ذكره الله في هذا الموضع، فإنه **السبب الذي يأمنون به** على أنفسهم **من المؤمنين**، وعلى أموالهم وذراريهم من **عهد وأمان** تقدم لهم عقده قبل أن يثقفوا في بلاد الإسلام. ...

أبو منصور الماتريدي – إمام المتكلمين– (ت 333 هـــ)

قوله تعالى: { ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله } وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: (ضربت عليهم المسكنة) وليس فيه الذلة، وفي حرف حفصة: (ضربت عليهم المسكنة والذلة) [ثم اختلف في الذلة]

[1]– الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.

قيل: هي الجزية التي ضربت عليهم، وهي ذلة كقوله: ﴿**عَنْ يَّدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ** ۝٢٩﴾[1] لأنهم كانوا يأنفون منها.

وقوله تعالى: { أينما ثقفوا } أي وجدوا {إلا بحبل من الله وحبل من الناس} يعني **بعهد من الله. وعهد من الناس، يكون عند قوم يؤدون الجزية.** وكذلك تأويل ابن عباس رضي الله عنه { بحبل من الله وحبل من الناس } أي **بعهد من الله وعهد من الناس.**

أبو بكر الجصاص– الحنفي – (ت 370 هـــ)

قوله تعالى: { ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أيْنَما ثُقِفُوا إلاَّ بحَبْلٍ مِنَ اللهِ وحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ } وهو يعني به اليهود المتقدم ذكرهم. فيه الدلالة على صحة نبوة النبي ﷺ ؛ لأن هؤلاء اليهود صاروا كذلك من الذّلّة والمَسْكَنَةِ إلاّ أن يجعل **المسلمون** لهم **عهد الله وذِمَّته،** لأن الحبل في هذا الموضع هو **العهد والأمان.**

أبو الليث السمرقندي – الحنفي – (ت 373 هـــ)

ثم قال { ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذلة } يقول جُعِلَتْ عليهم الجزية ويقال أَلْزِم عليهم القتال { أَيْنَمَا ثُقِفُواْ } أي وُجدوا { إِلاَّ بِحَبْلٍ مّنْ الله } **أي بعهد من الله** { وَحَبْلٍ مّنَ الناس } يعني **تحت قوم يؤدون إليهم الجزية،** فإن لم يكن لهم عهد قتلوا {وَبَاءوا بِغَضَبٍ مّنَ الله } يقول: استوجبوا الغضب من الله تعالى. ويقال: رجعوا بغضب من الله { وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ المسكنة } يعني جعل عليهم **زي الفقر.**

أبو إسحاق الثعلبي (ت 427 هـــ)

{ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُواْ }: حيثما وجدوا ولقوا، يعني: حيث ما لقوا غلبوا واستضعفوا وقتلوا فلا يؤمنون { إِلاَّ بِحَبْلٍ }: **عهد من الله** { وَحَبْلٍ مِّنَ

[1]– التوبة: 29.